الأنا والآخر بين الوعي الإنساني والمنظور الإسلامي (المثال)
(دراسة تحليلية مقارنة)

د/محمد فاضل أحمد الفقيه

أستاذ فلسفة الاجتماع المساعد كلية التربية ، النادرة ، جامعة إب

ملخص البحث :

ينطلق هذا البحث من وجهة نظر ديناميكية شمولية في دارسة الإنسان من زاوية العلاقة بين الثقافات التي عبر عنها الدين الإسلامي عبر التاريخ وحتى المرحلة المعاصرة. و ذلك من خلال محاولة الكشف عن التصورات المتبادلة بين أبناء الثقافات الأخرى، ولا تقف هذه الدراسة عند حدود النظر إلى العلاقة بين الثقافات على أنها علاقة صراع، وإنما باعتبارها علاقة وجود بالمعنى الإنساني الشامل. فللوجود عوامل بقاء وفي نفس الوقت له عوامل فناء وهدم و على ذلك نكون غير مخيرين في وجود الأخر فهو حتمية اقتضتها حكمة الله تعالى في الخلق لتكون الحياة أكثر ثراءً ويشحذ التنافس همم البشر ويفجر طاقتهم اعتماداً على أن (الأنا) و(الآخر) هما وجها الوجود الإنساني ولا وجود لوجه دون الوجه الأخر والعلاقة بينهما تحمل في طياتها بصمات التاريخ التي تستمد وجودها من خلال حركة جدلية لا تنقطع بين طرفي المعادلة.، مما يستوجب تصحيح وتعديل العلاقة بين أطراف الصراع بغرض تحقيق التعايش والحفاظ على الوجود الإنساني.

مقدمة:

تؤكد الوقائع التاريخية أن الإنسان منذ فجر حياته إنما تكالب على تحقيق إمكانيات إثبات وجوده الإنساني بانفصاله عن الطبيعة وتجاوزه لقوانينها فغير منها وتغير معها وطور نمط علاقته بالبيئة الأمر الذي تطلب بالضرورة أن يغير من أنماط علاقته الاجتماعية.

وتعد الثقافة الوسيلة الأساسية التي ينظم بها الإنسان علاقته في مجال الواقع الاجتماعي ويعبر نمط التفاعل عن مدى توافق الفرد مع العالم، ومن أهم خصائص البشر المؤثرة في العمل والتفاعل، فهم ألذات الجماعية أو الإدراك العام للذات[1]

ثم إن ما قد يظهر في النظرة العامة من جوانب سلبية في رؤية الذات جديرة بأن تلفت صاحبها إلى دفع الضرر عن ذاته فيتمكن في الأخير من رؤية الآخر كما هو لا كما هو في تصوراته [بحيث لم

تعد أنماط التفاعل البسيطة والمتأنية قادرة على اللحاق بهذا التطور السريع ، ولم يعد كافياً أن يدرك الفرد فقط الصور المشابهة له ، ولكن عليه أن يدرك ويتفاعل مع الصور المشابهة والمغايرة والمعادية والمتوافقة والمخالفة والمتصارعة والمهادنة لصور ألذات»[٢] ويثير واقع الفكر والممارسة في العالم عامة والعالم الإسلامي خصوصاً إشكالات نظرية كبرى وأسئلة لا حصر لها. ونظراً لاتساع مجال الموضوع وصعوبة الإلمام الشامل بأبعاده المعقدة فإننا نتجه في هذا البحث صوب التفكير في مظهره في الوعي الإنساني بشكل عام والمنظور الإسلامي (المثال) بشكل خاص و يتعلق الأمر بمحاولات إضافية لتركيب أسئلة تكاد تكون غائبة أو محدودة في هذا السياق داخل الفكر الإسلامي المعاصر، نستوحي تعميق النظرة وتعميم الوعي الديني والنظري والتاريخي بمختلف أبعاده .

وانطلاقاً من الأهداف النظرية التي تؤكد وجود المشكلات التي تواجه عمليات التفاعل عبر الثقافات والمجتمعات المختلفة و هي ذاتها المشكلات التي تهدد عملية التفاعل والأشكال داخل الثقافة بل والجماعة الواحدة لها نفس الآليات والتأثيرات بما يؤدي إلى الغموض والارتباك لهذا فإن بحثنا سيستعرض أولا مشكلة الأنا والآخر في السياق الاجتماعي والثقافي والفلسفي المحور الأول، ومن ثم حضور هذه المشكلة في(المثال) للمنظور الإسلامي المحور الثاني قاصدين بذلك فهم واستيعاب هذه الإشكالية ليصبح الوعي بها ضرورة من ضرورات المرحلة المعاصرة.

أهمية البحث:

يستمد البحث أهميته من خلال محورين اثنين يتعلق أحدهما بموضوع البحث، والثاني بالمنظور الذي نتناول من خلاله إشكالية البحث.

فيما يتعلق بموضوع البحث فالأهمية تكمن في تناوله لقضية ذات بعد وجودي ليس على المستوى الثقافي فحسب بل وعلى المستوى الإنساني ككل، ومن تلك القضايا هي: مكانة وموقع (الأنا) و(الآخر) في الوعي الإنساني والذي وأن رفضت كل أنا آخر ها فإنها عملياً لم تستطع التفرد بذاتها الأمر الذي يؤكد أننا وإن كنا كيانات مختلفة، إلا أنّنا في الواقع كيان واحد فوجود (الأنا) يقتضي وجود (الأخر) ولا يمكن لأحدهما أن يسود دون الآخر.

وتكمن الأهمية الثانية لهذا البحث في المنظور الذي نتناول به مشكلة (الأنا) و(الآخر) والمتمثل في المنظور الإسلامي وهو المنظور الذي يتجاوز المنظور الثقافي المجتمعي المجسد لفلسفة الكراهية للأخر الذي عرفته البشرية بمختلف مراحلها ليستوعب الآخر من نظرة شمولية تتجاوز المفهوم القاصر للعقائد والثقافات بحثاً عن الوجود الإنساني وبشكل موضوعي. أما من حيث توجهنا للبحث في

هذه الإشكالية في المرحلة الراهنة وهي مرحلة التحولات الكبرى والتي نرى في ظاهرها الاعتراف بالآخر وفي خفاياها نفياً له ، قد منحت بحثنا الأهمية الثالثة فقد كان الاهتمام بالفكر الذي يريد الحوار والتعايش مع الآخر كبديل للفكر الذي يجسد ثقافة النفي ولاستعلاء ملحقاً الأذى سواء بالذات أو بالآخر من أهم ما أنجزه البحث.

وبشكل عام إن أهمية البحث تنبع من الإيمان بخطورة موضوعة وحساسيته وما يترتب عليه من مواقف فكرية جدلية كون هذا البحث يهدف إلى إبراز الأفكار والنظريات التي أدت إلى صراع الحضارات تارة والى تقاربها تارة أخرى كما تنبع أهمية البحث من خلال أن موضوع (الأنا) و(الآخر) يتمتع بأهمية خاصة تكمن في ارتباطها الوثيق بحياة الأمم وتفاعلها ، مما دفعنا إلى تسليط الضوء على بعض المفاهيم الفلسفية و الدينية والسياسية و النفسية المتعلقة بمشكلات(الأنا) و(الآخر) وتحليلها وصولاً إلى توصيف الحالة التي تعيشها البشرية في اللحظة التاريخية المعاصرة.

ولاشك إن الإضافة المعرفية التي أسفر عنها هذا البحث كانت في الجانب الفلسفي والديني مؤكدة على ضرورة التعايش بين أبناء الإنسانية ضمن قواسم مشتركة ،وهذه الإضافة تحتاج إلى مناقشة وصقل.

مشكلة البحث:

وينطلق هذا البحث من وجهة نظر ديناميكية شمولية في دارسة الإنسان من زاوية العلاقة بين الثقافات التي عبر عنها الدين الإسلامي عبر التاريخ وحتى المرحلة المعاصرة. و ذلك من خلال محاولة الكشف عن التصورات المتبادلة بين أبناء الثقافات الأخرى ، ولا تقف هذه الدراسة عند حدود النظر إلى العلاقة بين الثقافات على أنها علاقة صراع ، وإنما باعتبارها علاقة وجود بالمعنى الإنساني الشامل. فللوجود عوامل بقاء وفي نفس الوقت له عوامل فناء وهدم و على ذلك نكون غير مخيرين في وجود الأخر فهو حتمية اقتضتها حكمة الله تعالى في الخلق لتكون الحياة أكثر ثراءً ويشحذ التنافس همم البشر ويفجر طاقتهم اعتماداً على أن (الأنا) و(الآخر) هما وجها الوجود الإنساني ولا وجود لوجه دون الوجه الأخر والعلاقة بينهما تحمل في طياتها بصمات التاريخ التي تستمد وجودها من خلال حركة جدلية لا تنقطع بين طرفي المعادلة.، مما يستوجب تصحيح وتعديل العلاقة بين أطراف الصراع بغرض تحقيق التعايش والحفاظ على الوجود الإنساني.

وقد حدد بحثنا مشكلته البحثية في التساؤلات الأساسية الآتية :

- كيف استوعب الوعي الإنساني إشكالية الأنا و الأخر في مداركه وفي واقعه الحياتي؟

- ما هي النظرة العالمية المعاصرة لهذه الإشكالية ؟
- ما الرؤية التي يقدمها الدين الإسلامي لحل هذه الإشكالية؟
- هل هناك ضرورة للمنظور الإسلامي بالنسبة للحضارة المعاصرة؟

هدف البحث:

يهتم هذا البحث في جوهر الوجود الإنساني بما هو كائن اجتماعي وهو وجود لا يتحقق إنجازه إلا من خلال حوار جدلي بين ذات وذات أخرى، حوار الوعي، الوعي الذي لا يمكن أن يكون إلا واعياً بالآ خر و بالعلاقة معه.

لا يأل الإنسان جهداً في سبيل فهم ذاته وما يحيط به منذ ما قبل أن يدعو (سقراط) إلى ذلك بقوله: يا أيها الإنسان اعرف نفسك، ولا ترجع الحاجة لهذه المعرفة إلى ضرورتها كأساس لمستقبل أفضل بل هي ضرورة لحاضر يتمتع فيه الإنسان بدرجة من الاطمئنان قال تعالى: (وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)[٣]

إن هذا البحث رؤية تحاول الاستفادة من العلوم والمعارف التي دعت إلى معرفة ألذات والأخر والتي ستتعامل معها في بحثنا كقضية محورية في الوجود الإنساني حيث يهدف البحث إلى محاولة إبراز المعوقات التي وقعت بكل أنا فردية أو جماعية للتمركز على ألذات ورفض الآخر مبيناً الرؤية التي يقدمها المنظور الإسلامي (المثال) لحل هذه الإشكالية لما من شأنه المساهمة في إزاحة التصورات التي تدعي أن الإسلام والفكر الإسلامي لا يعطي الآخر موقعاً أو مساحه فيه، بينما على أرض الواقع ومن خلال دراسة التاريخ نر ى أن الإسلام والمسلمين شأنهم شأن أي أمه أو ثقافة فقد يتبادل المفكرون من المسلمين المواقع سواء في فهم الآخر المشابه أو الآخر المغاير طبقا لقانونية التفاعل الاجتماعي وهو عامل أساس في إنتاج وتطوير الثقافة بمفهومها الواسع حيث اثبتت وقائع الحياة أن فهم التفاعل الاجتماعي لا يتوقف على فهم الكيفية التي يتم بها إدراك الآخر، وإنما يتوقف أيضا على الكيفية التي يتم بها إدراك ألذات وهذا ما يحاول بحثنا إدراكه وفهمه.

منهج البحث:

يعكس هذا البحث جدية الأجواء التي تحيط بعالمنا المعاصر الأمر الذي أدى إلى استعمال المنهج التكاملي باعتباره المنهج المناسب لموضوع بحثنا هذا.

مصطلحات البحث:

سيعتمد بحثنا على عدة مصطلحات تفيد في إنجاز ا هدافه ولعل أهمها يتمثل في:

الأنا: ويقصد بها: الذاتية الفردية التي تتعلق بالفرد، والأنا الثقافية هي تلك المعتقدات والتصورات التي تحملها جماعة من الناس حول ذاتها وحول الآخر.

الآخر: هو المختلف في أي جانب من الجوانب التي يتميز بها فقد يكون آخر من حيث انتمائه الاجتماعي لعرق أو قومية أو قبيلة وقد يكون أخر من جهة انتسابه الديني والثقافي لمبدأ أو مذهب أو مدرسة فكرية كما قد يكون آ خر في التوجه السياسي.

المنظور: هو تصور يتكون من رؤية متكاملة بحسب وجهة نظر حامليه سواء كانت تلك الرؤية على شكل معتقدات دينية سماوية أو وضعية تنظم حركة المجتمع ومواقع الأفراد في إطار ثقافته المحلية والعالمية، وفي بحثنا يعد المنظور الإسلامي (المثال) النماذج أو الأشياء التي لا تتبدل، ولا تتغير مع الزمن، فهي تتصف بالديمومة ولاستقرار وقد يطلق عليها البعض الثابت المطلق والمقدس، أو الحقيقة.

المعيار المتحول(ثقافة الواقع): هو النموذج الذي تكتسبه أمه أو مجتمع ما من خلال تفاعلها مع متطلباتها الوجودية وهي مجموعة العناصر القابلة للتحويل و التبديل و التغيير فهي قد تصلح لزمان ولكن ذلك لا يعطيها صفة الصلاحية لكل زمان ومكان، ويطلق عليها المتحول، المتغير، المتحرك، النسبي، النظرية.

الفهم الديني: وجهة نظر مستقاة من الدين يغلب عليها اجتهادات الفرد أو الجماعة الخاضعة لتأثير البيئة الاجتماعية وهو يختلف من فرد لآخر ومن مجتمع لآخر وقد يصبح هذا الفهم ملزماً لمذهب أو جما عه أو اتجاه فيصبح مصدر نشاطهم بغرض استمرارية أقناع الآخرين فيما يعتقدون به.

الإرهاب: لا يوجد تعريف محدد لمصطلح الإرهاب ولكن كل قوى أو جماعه تستخدمه بما يتوافق مع مصالحها وقد ظهر هذا المصطلح بقوة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م.

ويميل البحث إلى التفرقة بين الفعل الذي يؤدي إلى الدفاع عن الأوطان والدين من الاعتداءات الخارجية والداخلية وبين الفعل الذي يهدف إلى الهيمنة واحتلال الشعوب و غزو الثقافات الأخرى، ومن هنا فإن الإرهاب من وجهة نظر البحث يعني ذلك الفعل الذي تقوم به أفراد أوجما عات أو طائفة أو دولة يؤدي إلى نزع حقوق الأفراد و الجماعات لحق الحياة والحرية والسيادة.

المحور الأول: مفهوم (الأنا) و(الأخر) في الوعي الإنساني:

يحاول هذا المحور أن يجيب عن سؤال جوهري يدور حول طبيعية وتشكيل مفهوم (الأنا)، (الأخر) في الوعي الإنساني وإذا كان مفهوم الآخر هو الذي يدور حوله البحث وتتكاثر الرؤى والتصورات

حوله هو الإشكالية الأولى لبحثنا وذلك لأن الأنا هي المسيطرة على ذاتها والتي تحاول أن تتجاهل الآخر وإلغاءه وإقصاءه من إدراكنا باعتباره جحيما وكأننا حينما نلغيه من واقعنا نقوم بعمل مقدس ونحوز على النعيم الأبدي.

وفي الواقع إن (الأنا) هنا تمارس فعلها الأبدي حينما تتعامل مع الأخر بحسب مخارج الماهية أو الهوية والمعيارية والتاريخ والمكان والزمان فيصبح بالتالي منفياً خارج الوجود بينما في الواقع إن الهوية لا تكون قابله للتعريف والتحديد إلا عند قيام المقارنة بينهما وبين هوية أخرى فقط أي: في نطاق وجود أخر اختلف معه وعنه ويصبح وجود الأخر واحداً من الأسس التي تقوم عليها هويتي على مستوى النص والتطبيق. (فلمعرفة الأخر مسارات عديدة لا تنتهي بادراك نواياه ومعرفة سماته بل تبتدئ بها مثل ما تبدأ هذه المعرفة بالابتعاد عن التعامل معه بشكل جامد ملون بتشبع عاطفي سالب أو متسم بموقف أيدلوجي ثابت وغير قابل للتغيير) [٤] وقد خلص لإنسان ألبدائي إلى أن له مثيل ولو كان خياليا انطلاقا من الإحساس الوجودي والذي يجب اكتشافه ومعرفته فمن شدة البحث والتلهف لدى الإنسان البدائي اكتشف فكرة (الطوطم) وهو حيوان ارتبطت العشرة باسمه وصار عنواناً لها فحرم أكل لحمه كما جعل من الظواهر الطبيعية الخارقة والقوية: (الطوطم): آلهة يجب عبادتها والتعامل معها، وبعد أن انقسم بعض المجتمعات إلى طبقات تحول الآخر من آخر أسطوري إلى آخر واقعي طبقي _ سيد، عبد، _ غني، فقير_ إلا أن هذا يعني تحول الإنسان إلى ما يسمى الأخر المشابه لكنه النقيض.

وقد تمثل ذلك التقسيم في حضارتي أكاد وسومر. ودار سوا الحضارة ومؤرخوها يجمعون على أن شريعة حمو رابي كانت نتاج هدف تنظيم العلاقات بين الطبقات ' (الأنا)، (والأخر) حيث سمح هذا التنظيم للفرد الانتقال للفئة أو من طبقة إلى طبقة أخرى صعودا وهبطواً فأصبح الأخر قدرا اجتماعياً بعد أن كان قدراً طبيعيا أو أسطوريا (ولم تكن المعارف عند الإغريق والرومان عاملاً من عوامل تقريب الآخر والاعتراف به على الرغم من أنهم استنتجوا اتجاها أخلاقيا جعل هذه الإنسانية والتعليم أسماء القيم الإنسانية وفي التأكيد على نعمة أن يعيش الإنسان وسط أقرانه وكفاحه من أجل الشعور بحب الآخرين والإحساس بقيمة الحياة وسط الجماعة)[٥] ولم ينفع ذلك في تمكين الآخر من وجوده الفعلي بل حافظتا على الواقع القائم على العبودية حيث كان الأخر مستلب الإرادة. ولم تكن الديانة اليهودية قد اخترقت كثيراً نظام القيم وخصوصاً مكانة وقيمة الأخر فالفقراء لم يكونوا أحراراً في اختيار شكل حياتهم وسماتهم بل هم مجرد رموز قريبة من مملكة الرب ومجرد

عبيد خاضعين للنظام الاجتماعي المقدس والذي بدورة يحافظ على نظام مملكة الرب ولهذا نقرأ في العهد القديم (سوف يمكنك الرب إلهك من أمه ويسلط عليهم الخوف الشديد ليهلكهم وسيسلمك ملوكهم بين يديك كي تمحو ذكرهم من تحت السماء لا أحد يملك الوقوف في وجهك حتى تهلكهم)[٦] (ويغيب الأخر الأنثى في هذه التعاليم بل يعرض للإساءة والهلاك فالرجل سيد المرأة يجب أن يحلق شعرها إن هي لم ترتدي الحجاب ليس الرجل مخلوقا لأجل المرأة بل المرأة هي من خُلق لأجل الرجل)[٧]

ولم تكن ممارسة رجال الدين المسيحي بعيدة عن نفي(الأخر) سواء الداخلي أو الخارجي فمن لم يستجيب لسلطة الكنيسة يُعاقب ، ويتم الخلاص منه بواسطة السلطة السياسية والتي بشكل عجيب تم تجاوز وتجاهل تلك ألمقولة ما لله لله وما للقيصر للقيصر فالآخر الداخلي هو الطامح لمقاومة سلطة الكنيسة فيتم طردة ومعاقبته وكان حملة الدين الإسلامي هم المغاير فأصبحوا بذلك هم العدو الأكبر ولم تكن الحروب الصليبية إلا تعبيراً عن الخوف من الأخر.

إن القراءة للمفاهيم القديمة التي ادعت تنظيم مجتمعات العالم تظهر مدى التباين التي فرضتها هذه القيم في تصورات الأفراد والتي أدت إلى كراهية الآخر فكان الآخر في الفكر القديم وما زال عند البعض هو المختلف قيمياً بالدرجة الأولى .

ونظراً للفهم الخاطئ والمنقوص لتلك القيم وتوظيفها ليس بحسب مقاصد الأديان الحقيقية بل بحسب مقاصد الفهم المقدم فقد قدم المسلمون مثلاً فهماً أرادوه مطلقا مفاده ضرورة تعميم القيم الإسلامية. فالآخر موضوع ينبغي إن يقتدي بالقيم الإسلامية ألتي تفرق بين الحق والباطل بقيم (نا) وقيم (هم) وهذه الثنائية هي التي تسوغ وعي المجموع والتي تعزز إعلاء ألذات الداخلي وخفض قيم الآخر بالطبع لن ينجو الأخر الداخلي حيث يتعرض هو الأخر للإزاحة والنفي ، وهذا بالطبع ليس حكراً على المسلمين وتجاربهم التاريخية بل هي إشكالية حقيقية عند جميع أبناء الثقافات الإنسانية.

ويمكن الاعتماد على التعريف الذي يحدده المعنى العام لمفهوم الآخر بأنه الغير أي المختلف حيث كان يطلق على الأشياء وأيضا الحالات المعنوية.. إن(الأخر) هو المغاير الذي يقابل الذاتي والمشابه والغير هو أحد تصورات الفكر الأساسية ويراد به ما هو سوى الشيء بما هو مختلف أو متفرع عنه ومقابله الأنا ومعرفة الغير تعين على معرفة النفس .

وقد اصطلح الكتاب المحدثون على تقسيم الآخر إلى نوعين : الآخر الخارجي المنتمي إلى

حضارة وكيان آخر ، والآخر الداخلي أو الجواني و هو المختلف ضمن ذات الإطار الديني أو الوطني أو السياسي ... الخ. وقد رسمت الفلسفة اليونانية معنى مقابلاً لمعنى الهوية وهو المعيار الذي يطابق معنى الكينونة أو ما يميزها عن غيرها وهذا الفهم هو عبارة عن صياغة منطقية قدمتها الفلسفة اليونانية من خلال طابعها الانطلوجي المعروف بمبدأ الهوية والتي تؤكد على إما إن يكون الشيء هو هو وإما أن يكون مخالفاً لذلك وهذا الأمر لم يكن حكراً على تصورات الفلسفة اليونانية بل سارت على هذه الفلسفة المعاصرة حيث نلاحظ الفيلسوف الألماني(هيجل) يشير إلى (أن الوعي بالذات هو الانعكاس المشتق عن حضور العالم الحسي والعالم المدرك ، فالوعي بالذات ماهيته العودة إلى ذاته ابتداء من المغايرة أنه بما هو وعي بالذات حركة) (٨) .

وبذلك يكون الوعي الإنساني قد عرف تحولا في إطار تجاوز الشعور السلبي باتجاه الآخر ولحقه ممثلو المدرسة الديكارتية الذين أصروا على ملازمة حضور الآخر ، فيما كان هيجل محقا في كتابة (الوجود والعدم) عندما ما رأى أن الأنا لا يمكن أن توجد إلا في إطار علاقتها مع الآخرين (الوجود ـ مع) ويوضح ذلك أيضاً الفيلسوف الوجودي سارتر (الوجود _ مع) في (الكينونة والعدم) إن هذا يعني لا تضامن انطولوجيا مبيناً أن (الوجود _ مع) لا يعني أو يعبر عن علاقة تبادلية اعترافيه وهلامية بل يعبر عن علاقة بالأساس ، عن أحد أشكال التضامن الانطلوجي لاستغلال هذا العالم الآخر له وجود فعلي خارج ذاتي باعتبار صورتي تشكل من خلاله .

ودليل "سارتر" (أن الإنسان لا يكون إنسانا شريراً أو خيراً أو صبوراً أو حسوداً إلا إذا اعترف له الآخرون بذلك ، فلكي أكون فكره عن ذاتي لا بد أن أمر من خلال الأخر) (٩) .

غير أن هذا التفلسف لن يمر دون معارضة الفلاسفة حيث نفوا أن تكون نظرة الغير للأنا تحولها إلى موضوع ، أو أن نضرتنا إليه تحوله إلى موضوع بالرجوع إلى الذات وعزلتها فا لذات يمكن أن تكسر ذلك الحاجز من خلال سعيها نحو التواصل الذي سيؤدي إلى منع الأنا عن التعالي ويمكن حينها للغير إن يتواصل معها من خلال الحوار المتجدد الجدي الذي يعني ببساطة ما تعنيه العبارة الإغريقية القديمة (ديالوغوا) التي هي عكس (مونو _ لوغو) أي إن تحدث نفسك أو لا تسمع سوى رأيك الشخصي ونحن اليوم لا نستعمل كلمة (المونو لوج) إلا بالمعنى الفني الغنائي حيث يقف المغني أو الزجال النقدي ويصب جام طبقاته أو جناساته على من يراه أو ما يريد أ ن ينقد . هـــذا هـــو الصنف الوحيد من (المونو لوج) الذي نراه أما (المونولوج) الخطير الذي لا نراه لكنه يفتك بكل نظرة معرفية وبالتالي يشكل نظرية معرفية عندنا . فهو عدم سماع الأخر والاستهانة بكل رأي لا

يصدر إلا من الأنا المتغطرسة لكن من غطرس هذا الأنا ودفعها إلى إنكار قيمة أي تجربة إنسانية مع الوجود سواها) (١٠)

وهنا لابد من الإجابة على السؤال المطروح انه قد تراكمت عبر العصور مظاهر تخلف أدت إلى تضيق النزعة الإنسانية العميقة التي تحتضنها الأديان . فالجهل أدى إلى عدم اكتشاف قيمة الإنسان كانسان يجب إن يحترم بغض النظر عن القيم التي يحملها أو يؤمن بها مما أدى إلى التعايش البغيض بين مرجعية فكرية تعلي من شأن الإنسان وحقوقه وبين واقع سيء يتجه إلى المزيد من تغييب البعد الإنساني للحياة .

(لقد تم تخطي الإنسان كذات وصار التركيز عليه كموضوع للقيم وأهميته لا تتحدد لكونه بشراً إنما في اعتناقه نوعاً من القيم دون غيرها) (١١) فالأديان القديمة دمرت شخصية الإنسان وجعلت منه قرباناً للإله أو كائناً عاجزاً أمام قدرة الآلهة مطلقة لذلك لم تبرز وبشكل كاف في تلك التجارب البشرية النزعة الإنسانية... ولقد عانى الأوروبيون قبل عصر النهضة من هذه الرؤية حيث كانت السلطة الكهنوتية تلقي في الإنسان ذاته و إرادته وحريته لتجعل منه مجرد مخلوق عليه أن يدفع ضريبة الخطيئة الأولى استعباداً وتدميراً وتجهيلا .

وبدأت النزعة الإنسانية في التجربة الأوروبية كرد فعل على هذا الواقع الكنسي المرير وتمكنت هذه التجربة بعد صراعات عميقة وطويلة من إزاحة الجبرية اللاهوتية التي كرستها مسيحية القرون الوسطى في أوروبا.

ولعل الدارسات الانثروبولوجية على يد(ليفي شتراوس) خطت خطوات جذرية في خطوة التأصيل الإنساني لاحتفاظ الكل بهويته وقد كانت هذه التحولات في الفكر الأوروبي بمثابة محاولة للمعالجة بدأها الغرب منذ القرن التاسع عشر هذه المعالجة تمثلت في الرد تجاه ما اقترفه في حق الآخرين الذين سماهم بالمتوحشين ، فكان الأخر هو محور فكر وقناعات (ميشيل فوكو) ، حيث دعا إلى اتساع فضاء الأخر ليس المماثل بل المغاير متقصيا ضرورة وجوده ليس من باب التسامح والاعتراف به بل باعتباره مكملاً لوعي الذات كضرورة وجودية يصبح الأخر جزءا رئيسيا من مكونات الذات .

كما قدم علم النفس دراسات ونظريات هامة هدفت إلى تغيرا لجوانب غير المرغوبة في الشخصية من خلال تعزيز الحوار مع الآخرين ، ومن خلال عملية التفاعل مع الأفكار، حيث أكد (فالون) على ضرورة التميز بين(الأخر الحميم)(وشبح الأخر) الذي يحمله كل واحد في ذاته

والأخر(الجذري) قطب الجماعات لتماهيات الأناالأخرى)[١٢] وتبقى نزعة الاستشراق في نفي الأخر نزعة إعاقة في تحول الذات نحو الأخر وإعاقة لأخر من فهم الذات ولآخر معا ، تلتقي هذه النزعة مع ما قدمه الفكر الأوروبي الحديث والمعاصر من جعل الغرب أنموذجا مطلقا لكونه العرق النقي والراقي المميز والذي له الحق في قيادة الشعوب الأخرى لكونها غير كاملة الهيئة تحتاج دائماً إلى الهداية والرعاية ولأنها أيضا خلقت لكي تكون تابعة للأعراق الفاعلة .

كما تعتبر نظريات(نهاية التاريخ) (صراع الحضارات) من النظريات التي أدت إلى تأزم الذات في تحولها نحو فهم الأخر فجعلت منها متمركزة حول ذاتها تعيش في عالم الاغتراب. وقد أثبتت هذه النظريات أن العقل الأوروبي لا يعرف الإثبات إلا من خلال النفي وبالتالي لا يتعرف إلى (الأنا) إلا عبر (الآخر) وهذا شيء معروف ففي الفلسفة اليونانية نكتشف أن "بار ميندس " لا يستطيع الكلام على الوجود إلا من خلال طرح (اللاوجود) ولا الحديث عن (المتناهي) إلا من خلال (اللا متناهي) وهذا يعني إن رؤية العالم لا تتم إلا من خلال تقابل الأطراف كتقابل (الأنا) و (الآخر) ، والخلاصة هنا هو سوء تعلق الأمر با لمثالية (هيغل) أو بالمادية (ماركس) أو بالوجودية (جون بول سارتر) أو بنظرية (نهاية التاريخ) أو نظرية (صدام الحضارات) .

فإن الوجود ميتافيزيقياً كان أو اجتماعياً أو سيكولوجياً ينظر إليه على أنه صراع بين أضداد وقد توصل المفكر الإنجليزي(تويني) إلى نتيجة مفادها : (الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا) وبعد غياب الاتحاد السوفيتي والذي كان يعد النقيض الاقتصادي الاجتماعي تبدو الثنائية المعاصرة شمال _ جنوب التي حلة محل غرب _ شرق بعد إن أصبح الشرق غير كاف لتعرف الغرب على ذاته وهكذا فإن نظرية (صراع الحضارات) انطلقت في تصوراتها من ذاكرة تاريخية ومخزن يكرس ثنائية المسيحية / الإسلام، والشرق / الغرب معلنة عدوا جديدا أخر للغرب وهو الإسلام وكأنه من المستحيل إن العرب لا يستطيع إن يتعرف إلى ذاته إلا من خلال عدو جديد أخر لكنه أخر منقوص بينما تبقى الأنا في تفوقها وتميزها.

وعلى الرغم من وضوح مدلول الآخر في الاستعمال العام بالنظر إليه على انه المغاير .فان قاموس "Webster" يعرف الآخرية Otherness على إنها حالة أو نوعية أن تكون آخراً Other أو مختلفاً، بينما ينصرف معنى الآخرOther إلى الفرد أو الأفراد المميزين أو المختلفين عن غيرهم" وإذا كان التعريف القاموسي يفتقر إلى التحديد الدقيق فانه يحمل معاني المغايرة والاختلاف والتميز.

وتضفي الفلسفة البعد العقلي على بحث العلاقة بالآخر ، فهي تعتبر العقل الآخر اعتقاداً فطرياً

بان الآخرين يمتلكون –مثل الشخص نفسه- عقولاً قادرة على الاعتقاد والشعور بالطريقة نفسها فنحن والآخرون نعبر عن مشاعرنا الداخلية بالطريقة نفسها ،ويبدو أن كلاً منا يفهم الآخر من خلال لغة مشتركة بصرف النظر عن المشابهة في التكوين الجسماني والسلوك .

وقد ظلت القضية موضوعاً خلافياً في نظرية المعرفة والمنطق وفلسفة العقل منذ آثارها في الفلسفة الانجليزية جون ستيوارت ميل في القرن الثامن عشر كما نجد لها صدى في كتابات الوجوديين مثل جون بول سارتر(١٩٠٥- ١٩٨٠) في كتابه الوجود والعدم ١٩٤٣ ،تسود في الغرب الآن أفكار ونظريات تنطوي في كثير من جوانبها على محاولات متسارعة لتحييد أو على الأقل تهميش – دور القومية ،ويعد كتاب (صراع الحضارات)لصمويل هنتنجتون المصنف الأكثر في الخطاب الغربي ،إذ (عمليات التغيير الاجتماعي والتحديث الاقتصادي في العالم مؤديه إلى الفصل بين الشعوب وهويتها المحلية القديمة) بما يترتب على ذلك من إضعاف الدولة القومية كمصدر للهوية .وبما يجعل هذه النظرة تمثل في حقيقتها تهديداً للهويات القومية المختلفة بدعوى أن الشعوب تبحث الآن عن هوية أوسع من هوياتها المحلية .

وإذا كان قد ضرب مثلاً للهوية الأوسع بالهوية الدينية خدمة نظريته فان الأخطر من وجهة النظر القومية هو أن يؤدي ذلك في جانبه المضمر- إلى سيادة قيم التغريب وذوبان الهوية فيما يعرف بالعولمة أو الكوكبية التي تعني في جانبها السياسي النظر إلى الكوكب الأرضي كوحدة وليس كمركب من أجزاء مستقلة ،أما من جانبها الاقتصادي فتعني حرية انسياب السلع والخدمات والمعلومات والأفكار دون عوائق .

وإذا كان هنتنجتون وغيره قد تكفلوا بوضع الأسس النظرية للصراع القادم بين الحضارات وما اعتبروه من أن الحضارة الغربية الحالية تمثل نهاية التاريخ في التطور البشري . فان الجانب العلمي قد تكفلت به ظاهرة العولمة بجانبها الاقتصادي المتمثل في اتفاقية التجارة العالمية ،والسياسية المتمثل في القطبية الأحادية هذه الظواهر المعقدة والمتقاطعة استلزمت نوعاً جديداً من الصلات بين الأمم والشعوب ، ومن هنا احتلت العلاقة بالآخر اهتماماً فائقاً على ضوء التمايز الحادث بين المجموعات العرقية والثقافية وبين القيم المفترضة للعولمة.

إلا أن ذلك ليس كل الخطاب الغربي فللغرب وجه آخر يقدم مفكرين كثر يناهضون الانغلاق على الأخر ويرفضون اتهام الأخر المجرد على انه مختلف أو مغاير أمثال المفكر الإيطالي أمبريكو ونعوم تشو مسكي وكذا بوبر و آخرون ممن ينتمون إلى ثقافة الحوار أو بحسب تعبير بوبر واتجاهات

أخرى (بالمجتمع المفتوح)).

حيث شدد (فوكو)على اهمية ايجاد مكان للمختلف داخل حيز اللغة وأن يتسع فضائه لغير المماثل ، فيما أكد(دولوز)على ضرورة استنبات الآخر في الحقل الإدراكي المثبت في نظام التفاعلات بين الأفراد كأغيار ، وهو ما يتوافق مع رؤية بحثنا والتي تستدعي ضرورة حضور الآخر في الأنا باعتبار الغير مصدر ثراء (الأنا)وينبوعها المتدفق.

بل إن الفكر الفلسفي الأوربي شهد في القرن السابع عشر بداية بزوغ فكرة التسامح إذ كان رائد حركة التنوير في الفكر الأوربي الفيلسوف الانجليزي جون لوك (١٦٣٢- ١٧٠٤) قد نشر رسالة في التسامح ١٦٨٩- وقد كانت الرسالة نقطة تحول نحو احترام الآخر ، وان كان التسامح هنا منصرفاً إلى التسامح الديني ، حيث أشارة الرسالة إلى انه (ليس من حق احد أن يقيم باسم الدين الحقوق المدنية والأمور الدنيوية).

كما أشار الفيلسوف الإنجليزي جون ستوارت ميل (١٨٠٦- ١٩٧٣) في كتابه المعروف (عن الحرية) إلى المغزى الفلسفي للتسامح باعتباره مانعاً للتعصب ، حيث التسامح يمتنع معه الاعتقاد بحقيقة مطلقة .

وقبل أن ننتهي من محورنا هذا يجب الإشارة أننا لا ندعي بأننا قد تناولنا كل ما قدمه الوعي الإنساني في تناوله لإشكالية (الأنا)(والآخر)فذلك يفوق قدرات وإمكانات الباحث حيث لايمكن لبحث بمفرده الإلمام الكامل بهذه الإشكالية المعقدة لكننا اكتفينا بالاعتماد على نماذج فكرية فلسفية ودينية وعلمية بينا من خلالها موقف واثر هذه النماذج التي قُدمت لمعالجة إشكالية (الأنا) و(الآخر).

وبعد استعراض وتناول هذه النماذج توصل الباحث في هذا المحور إلى خلاصة مفادها :

- إن تأزم العلاقة بين (الأنا)(والآخر) ، الغير الداخلي (الآخرالنحن) وتأزيم الإشكالية أكثر في علاقتنا بالآخر(الغير خارجي) ، يتعلق الأمر بالمفاهيم المتباينة في التصورات والتي بدورها أدت إلى تركيب صورة الكراهية للآخر ، حيث صُور الآخر بصورة منتقصة ويبدو هذا الانتقاص في القيم التي يحملها الآخر واعتبار الاختلاف في منظومات القيم عامل نفي واستبعاد لا عامل ثراء وتعاون ، وهذه النتيجة متعلقة بالأولى وهي أن الأنا الذات جعلت من نفسها مرجعية فاعلة ، أي فعل ، سواء تعلق الأمر باستكشاف أبعاد نفسها أو معرفة الآخر ، مما نتج عن ذلك وجود إيديولوجية اقصائية استبعادية ضد الآخر ، وإيديولوجيا مقدسة خاصة بالذات .

- لوحظ عدم براءة أي أنا جمعية من إيديولوجيا النفي والإقصاء مهما أدعت لنفسها من تسامح وموضوعية.
- أظهر بحثنا وبالرغم من أن الآخر ما زالت ذاتنا تنأى عنه أولا تستحضره بشكل كافٍ إلا أن ذلك لا يعني أن الذات (الفردية) ، (الجماعية) لم تحاول البحث عنه أو التعامل والتعايش معه في المدار الاجتماعي الخاص والعام، بل إن مفهوم (الأنا)(والآخر) قد قدره المفكرون عبر التاريخ الإنساني بالمزيد من تفتق الرؤى فلا يكاد يمر على الحضارة الإنسانية مرحلة من مراحلها الا وتتخلله رؤى فكرية جادة وعميقة تبين مدى أهمية وضرورة وجود الآخر، رافضة بذلك المقولات التي تدعي أن هناك تمايزاً بين البشر مثل التمايز البيولوجي العنصري ، ولان المنظور الإسلامي (المثال)لديه رؤية متميزة قابلة وقادرة على حل هذه الإشكالية فقد اقتضت الضرورة المنهجية أن يتم تناوله في محور مستقل وهو المحور الثاني والذي سمي بالمنظور الإسلامي (المثال)والحاجة إليه.

المحور الثاني : الأنا الأخر في المنظور الإسلامي (المثال) والحاجة إليه.

لقد لخص أحد المفكرين الوجود الإنساني بقوله: انه بالإمكان ومن خلال الاستقراء الموضوعي لهذا الواقع المتأصل انتزاع المعادلة الصعبة والموغلة في الحقيقةِ في آن وهي أن الوجود يعادل دائماً نفي الأخر أيا كان هذا الأخر بشراً أو حجراً أو حياة . وكما أبرزنا في الفصل السابق أن المنظور الإسلامي (الواقع) قد مارس عملية الإلغاء والنفي للأخر وهذا بطبيعة الحال ليس عملية استثنائية في الوعي العالمي بل هي نتيجة للتجربة التاريخية المصنوعة من الفهم الخاطئ لعملية التنميط الثقافي الذي تحاول إن تمرر ذاتها عبر الإكراه وعدم مراعاة أو الاعتراف بالآخر ومما يوسف له إن البشرية ما زالت غير مكترثة من المحصلة التاريخية والتي مفادها أن ثقافة إلغاء الأخر لا يمكن لها أن تؤدي للحفاظ على مصالح ألذات بل أنها تؤدي إلى تدمير الذات والأخر في آن وبالتأمل إلى تجربة المسلمين الحياتية فقد لا حظنا أنهم قد حسنوا في مرحلة معينة وأخفقوا أيضا في مرحلة أخرى بينما نحن مدركون وهذا ما يحب أن يبين أن مكانة الأنا والأخر قد أطر لها الدين الإسلامي بالمفهوم الذي يطلق عليه بمفهوم (التعارف) وهذا المفهوم ذو سعة حيث يشمل ويستوعب كل المعاني التي تدل على التعاون و التساكن و التعايش و الحوار وبالتالي فان الخلاف مع الأخر لا يجب أن يؤدي إلى نبذه واستبعاده واحتقاره لان التغاير والتمايز هو آية الله في الخلق، فهو يجعلنا أن نكتشف الكثير من الايجابيات ويساعد بشكل أعمق في فهم السلبيات التي تنتج عن تصرفات الأنا سواء تجاهها أو اتجاه الآخر بما في ذلك أن الأخر يمكن أن يكون أفضل من الأنا بأكثر من موقف فيقول تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ

عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)(١٣)

إذن فان العلاقة ما بين الأنا والآخر هي علاقة الاعتراف والاحترام والتعارف في إطار مساحة واسعة تحكمها قواسم مشتركه والتي تهدف إلى تطور الإنسان ونموه وهي دعوة تحكمها قواسم سواء فيما يخص الأنا الإسلامية أواخرها الإسلامي والآخر المختلف والمؤتلف ولعل دعوة أهل الكتاب للتعايش دلالة واضحة على مصداقية المنظور الإسلامي للأخر لقوله تعالى (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)(١٤).

ولا يقتصر المنظور الإسلامي على دعوة أهل الكتاب للتعايش كونهم موحدين يؤمنون بالله بل انه قد جعل في قلوب المسلمين متسعا مع بني الإنسان كافة وهذا لا يعني أن هذا التعايش يجب أن يحكمه الاتفاق في كل شيء ولكن ما يهدف له هذا المنظور هو: ضرورة أن تعي الإنسانية جمعا سعة النموذج الإسلامي فهو يختلف فقط مع القيم التي تهبط بمستوى الإنسان كما أنه يحتفظ بكل القيم الايجابية التي تشكلت من خلال تأريخ الإنسان ليبقى الهدف العام هو تصحيح الانحرافات الموجودة في الواقع المعاش والقضاء على مسبباتها مراعياً الخصوصيات ومما يزيده مصداقية هو أن آلياته لن تتجاوز طرائف القول الحسن والكلمة السواء والجدل الحسن بقوله (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (١٥) .

إن الإشكالية التي تعيشها الحضارة العالمية تمثلت وما زالت في الممارسة القهرية التي تمارس على (الاناء)، (والآخر) وهي ممارسة تجعل من الأنا والآخر ذو حضور منقوص ولم نعي بعد أو ندرك مدى ضرورة واستحضار الأخر بشكل فعلي لنتمكن من تحقيق عملية التوازن التي لا يمكن إن تستقيم بدونها الحياة وهو التوازن الذي يستطيع تنظيم العلاقة ما بين الخاص والعام إن هذه النظرية مفادها وترجمتها تتمثل في وجوب مغادرة مفهوم المركزية الحضارية التي تدعي احتكار الحقيقة والتي ترى في أ نموذجها مدخلاً نهائياً للحياة وأن من يتمرد أو يناقش أو يختلف فإن العقاب هو الطريقة المناسبة لإيقافه بينما من مصلحة البشرية أن تؤمن با لتعددية الحضارية والتلاقي في قواسم مشتركة .

إن هذا الطرح في اللحظة التاريخية المعاصرة ليس مجرد أمال أو أمنيات ،انه خطاب عقلي يستوجب حضوره لمواجهة التحديات التي تفرضها شروط المرحلة التي نعيشها وهي شروط تجاوزت النطاق الفردي الاجتماعي فتبدو هذه الشروط أمرا حتمياً تتمثل في ضرورة إعادة الاعتبار للأخر (هذا هو العهد الذي ينبغي فيه على المسلمين إن يدركوا ضرورة الحوار والتبليغ الرسالي وان يعملوا على

مكانتهم ويستشعروا الواقع في أنفسهم وفي الجانب الأخر)[١٦].

ولاشك أننا لن نستطيع الوصول إلى هذه الوضعية إلا إذا تحققت كل شروط الحوار في ذواتنا وفي ضوء الإطار ألتعارفي الذي يؤسس لإنسانية التفاعل على أساس التقوى والنفع العام للبشرية وهذا حقا لكل أبناء البشرية أن يتعاونوا في تحديد ملامح حركة سير العالم في القرن الواحد والعشرين وكذا في تقييم تجربتهم التاريخية فلم يعد من الممكن تهميش أي ثقافة أيا كانت التبريرات.

إن الإنسانية اليوم بأمس الحاجة للمنظور الإسلامي الذي يدعو الجميع بالتعاون على الخير(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى)[١٧] والأمل معقود أن يعمق الباحثون المسلمون مناهج التحليل وأطره المعرفية والمنهجية باتجاه الوصول إلى ما يمكن أن نطلق عليه بالمنظور التعارفي العالمي وبالنسبة للمسلمين ينبغي أن تكون لغتهم الأولى هي الحوار وإن كان الآخر معتدياً كما أن الفكر الإسلامي ملزم بالاهتمام بالمشكلات الجارية الكبرى وجعل من الآخر قضية حضارية مصيرية يتحدد بها مصير الذات والآخر سواء في الحاضر أم في المستقبل فالآخر وفق هذا المنظور هو ضرورة مجتمعية ومستقبلية لذواتنا وهو المنظور الذي يحررنا من مخاوفنا من الآخر لأن الضابط لهذا المنظور هو العدل الذي يصيغ العلاقة سواء في الدائرة الوطنية أم القومية أم الإنسانية بعيداً عن الرغبات الشخصية والتميزات الثقافية (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)[١٨].

إن المنظور الإسلامي الذي يقره القرآن هو ذلك المنظور الذي لا يدعو للاعتراف والحوار فقط بل انه المنظور الذي يشرع أيضا للاختلاف ويمنحه أحقية الوجود وهو الذي يستمد مرجعيته من قوله تعالى (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً)[١٩] ولكنه يود في المحصلة تطبيق (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا)[٢٠] وهذا يدل على الانسجام في منظومة المنظور الإسلامي في قوله تعالى (أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)[٢١] وهذه الدعوة لمخاطبة الله لنبيه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ)[٢٢]

إن هذا المنظور نفسه لا يعتبر مسلمة لما تقرره البيئة من تنشئة وتفاعلات أي القبول النهائي لعملية الاختلاف في التفكير والناتجة عن المحيط الذي يعيشه الإنسان بل ما نعنيه وهو التفاعل مع هذا الواقع وطرح البدائل من خلال الحوار والإقناع بعيدا عن مداخل الإكراه سواء كانت مباشرة أم غير مباشرة.

ومن خلال ذلك فإن المنظور الإسلامي يدعو إلى إجراء عملية تحول في الوعي وممارسة هذا التحول يجب أن يكون من مرحلة التحمل السلبي إلى مرحلة التعاون المشترك ومن مرحلة التعامل مع الآخر إلى مرحلة دراسة الآخر قبل التعامل معه كما يستوجب دراسة ومعرفة الذات قبل معرفة ودراسة الآخر لأنه

ليس من المعقول أن تتمكن الذات من محاورة ومجادلة الآخر دون أن تدرك عن ذاتها ابسط التصورات الحقيقية التي من خلالها يمكن فهم الذات وفهم الآخر بموضوعية تمكنا من فهم ما يريد أن يحققه بنا وذلك يساعدنا في طريقة المواجهة والتأثير فيه إنه منظور يهتم بالأثر العملي والتطبيقي وهي معادلة دقيقة تقوم وتعتمد على تطور الوجود الإنساني كله موفقاً بين النظري والعملي طبقاً لأولويات هذا الواقع وفيه تتم المحاجة مع البشر جميعاً.

كما في قوله تعالى : ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٢٣) وهذه آلية اتخاذ وأتباع الطرق الحسنى ومعززاً با لتفكير الواضح ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(٢٤).

إن مرتكزات المنظور الإسلامي تقوم على أن في الوجود حقائق متفاوتة وفهم متعدد لظواهره كما أن التسامح هي سمة بارزة في منظومته فجعل الأخر يؤمن بما تحمله أو تفكر به يتم عن طريق الأسلوب الأفضل هو القول الحسن ... لان الإسلام يريد أن يربي الإنسان تربية عالية جداً لا يعدل معها ما يخاف من الأنا وأكدت ذلك العديد من الآيات عن أهل التعاطي بالقسط مع الآخر المغاير ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(٢٥) ويصبح السلام عاملاً أساسياً حيث تم منع قتال من يرغبون بالسلام ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾(٢٦).

وهنا تبين أن المنظور الإسلامي لا يعفي الذات من مسئوليتها بل انه دائماً قد جعلها أمام المحاسبة ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾.(٢٧) إن المنظور الإسلامي يعتمد على العقل الذي لا يتقاطع مع قيم الدين ومتطلباته العقلية والإيمانية بل يعني العودة الواعية إلى النص الديني والتعامل مع منطوقاته المؤسسة على قناعة العيش المشترك لمواجهة التفسير الخرافي للذات والآخر بل لكل الحياة ومعانيها انطلاقاً من أن العقل يساوي الانسجام مع الفطرة في إدراك القوانين العامة والمواقف السليمة في إطار العلاقة مع الموجودات ويبقى التفاعل مستنداً على رؤية وتصور للأمور على نسبية الحقيقة مما يولد بالطبع قيم الانفتاح والحوار والتواصل وتزول كل دواعي النفي والإقصاء تجسيداً لصيانة حقوق الإنسان بغض النظر عن لونه وجنسه أو رأيه وذلك فيما اقتضته الآية الكريمة ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾(٢٨) وهي حالة لا تلتقي أو تساعد تلك الرؤية المبنية على التفضيل الأعمى للواحدية المغلقة أو التعددية العدمية إنها رؤية عقلية إيمانية فيها يدرك العقل نفسه أو لا ، ثم يدرك الحقائق والقواعد المنطقية ويحدد الخير والشر والحق

والباطل والعقل هنا آلية ووسيلة تنسب إلى الإنسان نفسه يستفيد منه تارة فيصل إلى تحقيق الغايات ويهمله أخرى فيخسر وينحرف ويبطل ومن مميزات المنظور الإسلامي انه قد حدد المؤثرات الداخلية ضمن التكوين الذاتي في الإنسان ثم يبين تأثير العقلانية على الخارج في حركة تفاعلية من الداخل إلى الخارج وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ)[٢٩] إننا أمام منظور إسلامي متكامل ذي سعة قابل للتطور ضمن القواعد الإيمانية والعلمية والاهم من ذلك أنه منظور يبين الأسباب التي تقوي العقل وتربية وتعضده سواء من داخل الإنسان أو من خارجه لتسهيل الطريق أمامه وفتح آفاق المعرفة والتذكير بعواقب الأمور (وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[٣٠]

ومن يطالع كتاب الملل والنحل يدرك أن السجال مع أهل الديانات كان يدور حول الأمور التي تختلف فيها العقائد وكيف يدحض الرأي المخالف بالحجج العقلية لا غير بوصفهم أصحاب رأي مخالف لا كخصوم وأعداء .

وهذا ما يؤكد طرحنا بأن ا لمنظور الإسلامي يقوم أساساً على الاعتراف بالاختلاف وقبول التنوع فهو يعترف باليهودية والمسيحية كديانتين سماويتين وكجزاء من عقيدته أن الله جعل الناس مختلفين في الجنس واللون ولذلك لم يعدهما معيارا للتمايز بل جعل صفة أخرى هي التقوى وذلك في قوله تعالى (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)[٣١] ومن هنا (فالأنا) أو الذات في المنظور الإسلامي يتم التعرف إليها عن طريق الإيجاب والإثبات أي أن المكرم هو من يتميز بالطهارة وليس عن طريق النفي والسلب لكونها موجودة من خلال الصفات التي تميزها والتي تختلف عن (الذات) و (الأخر) مما ولد لنا أنموذجاً حياتيا ومعرفيا مبني على الاختلاف والمغايرة وليس على السلب والنفي.فأثبتنا بذلك أن العلاقات في الإسلام علاقة مبنية على التسامح وليس على التعصب أو النفي.

إن مشكلة الحضارة العالمية المعاصرة تتمثل في أن غالبية مفكريها وأيدلوجيها وأحزابها وعلمائها ولأسباب مختلفة لم تتمكن هذه المسميات من التفرقة بين ثقافة الواقع وثقافة المعيار فالإسلام كدين وحضارة شيء أما الصورة التي تصنعها عنه وسائل الإعلام الموجودة في الغرب شيءً آخر وكذلك إن الصورة المرسومة في أذهان غالبية العرب والمسلمين ليس هي الحقيقة والمطابقة للواقع في العالم الغربي تلك هي الحقيقة التي تفتقدها الحضارة المعاصرة الحقيقة بوصفها ما يطابق الواقع وليس ما تروجه الوسائل المسيرة أيدلوجياً من مراكز الهيمنة في مختلف الثقافات.

إن ما يزيد أزمة الحضارة العالمية تعقيداً هو تراجع التفكير الأوربي فقد كانت أوروبا تميل نحو من فكرة الحقيقة والتي تعني مطابقة ما في الفكر لما في الواقع كما لم تكن المعرفة الحسية إلا بوصفها خاضعة لكثير

من مقومات الخداع فكان إنجاز العقل الأوروبي هو الدعوة إلى الاحتكام للبداهة العقلية وصرامة الاستنتاج أما اليوم فأن صناعة وعي زائف يحل بدل الحقيقة هو ما تشهده الساحة العالمية وخصوصاً من قبل العقل الغربي . ولا يزعم هذا الطرح قدرته على منح إجابات عما تضمنه سياقه العام من أسائلة ولم يقصد ذلك بل إن هدفه كما ذكرنا سابقا في الأساس إثارة موضوع الحوار و إظهار مكانه وأهمية (الأنا) و (الآخر) في المنظور الإسلامي (المثال) رغبة في إعادة اكتشاف الأسئلة التي تتطلبها المرحلة الحالية فصراع الحضارات و الهويات من وجهة نضرناً أمرا لا مفر منه ولكن يمكن للحوار السلمي والتسليم به يدفع جميع الأطراف للاستفادة من الأخطاء والتسليم بحقوق كل طرف ومغادرة الانغلاق التي فرضها على نفسه حينما قرر أن الصراع أمر حتمي ولا بديل له و عليه فان عملية الحسم ستكون بنهاية احد الأطراف وهو الأضعف في مرحلة معينة ليصبح الحسم عملية مؤقتة ثم الإعداد من جديد لجولة قادمة ، والإشكالية الكبرى التي تعيق عملية الحوار تتمثل في السلوك الذي تمارسه القوى المتحكمة في الثقافات فهي تمارس وتحاول أن تفرض واقعا مفاده النموذج المطلق وهذه الرؤية تحاول هذه القوى تعميمها إعلاميا ومن خلال مؤسسات متعددة بلا تفريق بين الثابت والمتغير في نمط الهوية الثقافية (الأنا) هو الذي يحدد للآخر شكل وجوده وهو تحديد ليس كما هو في حقيقة بل كما وفي وعي (الأنا) عن (الآخر) وهو بالتالي وعي لا يتطابق مع الحقيقة الكامنة في إطار كل ثقافة الأمر الذي يفسر لماذا اخترنا مفهوم المنظور الإسلامي (المثال) مقروناً بالبحث عن العوامل المشتركة للثقافات الإنسانية رغبتاً في تداول هذا المفهوم وإنشائه لبداية حوار علمي لكي نعي المختلف والمؤتلف في هوية الأخر الآمر الذي يفرض وبقوة ضرورة الحوار الحضاري ومنح حصيلة المؤتمرات الثقافية والعلمية ونتائجها المختلفة معنى خاصاً لكي نعبر عنها وتعبر عنا هذا الرؤية تعتبر إحدى الشروط والمداخل الرئيسية التي تساعد في خلق شروط التعايش أو في صوغ التصورات الايجابية عن (الأنا) و (الآخر) مما ييسر لنا الحوار مع الأخر لا الصراع معه وهذه حقائق ومدا خيل نضريه تمنح المجال والتعايش المشترك المبني على الحوار والتكامل ، ولذا وان كانت المواقف قد تباينت بين الرفض والقبول والمحاولات التوفيقية فان القناعة بالتقارب بين الشعوب كانت من أهم اهتمام بعض الوعي الإنساني الداعي للحوار والتعايش اعتماداً على المقولة التي ترى أن التبادل هو شرط البقاء الأول لشكل الثقافات الإنسانية التي لا تريد أن تسقط في القديم والجمود والتحيز ولكن مقاومة روح الاستسلام والتسليم التي تقود إلى فشل ملكة الإبداع ، و الإنجاز لذوى الثقافات الأضعف هي شرط تحقق هذا التبادل المستمر ومكافحة نزعة الإمحاء الثقافي ولاغتراب ونزع الشخصية والآن ونحن ننهي طرحنا عن إشكالية بحثنا من المفيد التأكيد على انه توجد علاقات مهمة بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافات الأخرى بوصفها هوية

وتعتمد هذه النظرية على أن الثقافة الإسلامية العربية ليست منغلقة على نفسها بل هي موروث لكل ما هو إنساني وقد اثبت تاريخياً أن الأمم الصاعدة هي التي تكون قادرة على استيعاب وإعادة إنتاج وصياغات الثقافات الأخرى وتحويلها إلى جزء لا يتجزأ من ثقافاتها القومية . وفي مرحلتنا التاريخية المعاصرة والتي تشهد تحولات خطيرة بات من الواضح أهمية وضرورة تقديم قراءة جديدة تستوعب هذه التحولات فالخطاب الأيدلوجي القديم لم يعد ذا جدوى لمخاطبة اللحظة التاريخية المعاصرة لان علاقتنا اليوم تقوم على درج من الواقعية وهذا ما يستدعي فهماً علمياً دقيقاً للأوضاع وطنيا وإقليميا وعالمياً فالمرحلة الراهنة شديدة التعقيد وكثيرة التقلبات وسريعة التغير وهذه القراءة ستمكن بالطبع من امتلاك رؤية واقعية باعتبارها ضرورة تاريخية تقتضيها تناقضات الثقافة العالمية من جهة وبوصفها تنظر للواقع القائم من جهة أخرى على أن هذه الرؤية ولكي تستطيع ممارسة دورها لا بد لها من امتلاك الوعي بالمحددات والمفاهيم الجوهرية الأساسية التالية :

مدخل الحوار أو التفاعل: وهذا المدخل مطلوب للتحكم بعملية الصراع ومحدداته قبول كل طرف بوجود الأخر مصاحباً ذلك الاحتفاظ بالعناصر الايجابية لكل طرف مما يدعم الاحتفاظ بكل ما هو خاص (ايجابي) ويدفع كل ما هو عام(ايجابي) بمعنى أن هذا النموذج يقوم على كل من العام والخاص وهذا لن يتحقق إلا بإقناع كل الأطراف المتحاورة إلى تقديم تنازلات، ولعل الدوافع لحوار بحسب اعتقاد هذه النظرية له عدة مقومات موجودة في إطار كل ثقافة منها :

_ أيديولوجي : أي وجود إيديولوجيا محبة للسلام داخل كل ثقافة قادرة على نبذة فكرة الحرب والعنف وعدم سلب الآخرين حقوقهم .

_ بيئي : فا لطبيعة ملك لنا وأي خطر يتهددها سيهدد وجود جميع الحضارات، ولأجل أن يتحقق الحوار على أرض الواقع سيتوجب إجراء عدة خطوات عملية وفكرية :

_ التدريب على التسامح والتسامح ليس إلا قبولا وفهم الفروق بين الثقافات

_ الفهم التام لحقيقة أن أي ثقافة ليست وحدها في هذا العالم والحقيقة لا تحمل وجهاً واحداً.

_ الإقناع بان الفكر المترتب على منجزات العلم أو الفلسفة أو الفن لا يمكن أن يكون أحادي الاتجاه ، وإنما يجب أن تتعدد موارده ومصباته .

أن هذا النموذج الذي يأمل الخيرون من أبناء البشرية كافة به سيؤدي وجودة إلى عالم أكثر أمناً واستقراراً معتمداً على الاعتراف بتنوع الثقافات الإنسانية واحترام الهوية القومية وخصوصيات الشعوب والابتعاد عن التنميط ألقسري فهو منظور ديناميكي متطور يسمح بالتجديد والتفاعل مع الهويات بصفتها واقع متغير وليس على أنها كينونة قد اكتملت وتحققت خارج حدود الزمان والمكان

وكأنها شيء يستحق التقديس عبر الأجيال . ومن خلال العرض السابق يستنتج الباحث أن المعوقات الناتجة عن التناقضات والأطماع والتباينات التي تهدد الحضارة العالية هي معوقات حقيقية أمام أقوى الحوار والتفاعل حيث شكل الصراع حول ريادة البشرية منوالاً متكرراً خلال الحقب والعصور ، تجلى من خلاله سعي الشعوب والأمم إلى أن تكون لها اليد الطولي على سائر سكان المعمورة ومحاولات الإمبراطوريات القديمة في التوسع والحركات الاستعمارية و الكولونيالية في العصور الحديثة كلها أشكال أدت لهذا السعي المحموم للغلبة والسيطرة ويمثل التنظير الفكري لهذه السياسة المنهجية في بذر أفكار التمايز والمفاضلة بين الناس عاملاً سلبياً أدى إلى وجود عُقد نقص وتفوق شطرت العالم إلى شطرين احدهما متحضر ماسك بزمام الأمور يستحق الحياة والآخر مختلف تابع مآله السحق أو خدمة الشطر الأول و تتجلى هذه الثقافة في المرحلة الراهنة في منظور نهاية التاريخ (زبدة الحقب) و (صراع الحضارات) فلن يتمكن الناس - حسب هذا المنظور من أن يبدعوا أفضل منها خصوصاً إذا ثبتت وقائع التاريخ سقوط نظم أخرى كانت تمثل البديل (المنافس الاستراتيجي). وهنا يتأكد لنا أن هذا الطرح بالطبع لا يطلب حلاً لمأزق البشرية بل يضاعف المشكلة كونه يستبقي الوضع على ما هو عليه إلى ما لا نهاية ، وكان الغاية الأبدية التي على الشعوب المختلفة أن تسعى إلى تحقيقها هي بلوغ ذلك النموذج الغربي حيث يمثل أنموذجاً مكتملاً وهذا الطرح إنما يمثل اختزالاً لما يحتمل في واقع التحديات التي تمر بها البشرية. وقد وجد هذا الطرح موقعاً خطرا في الوعي والحياة المعاصرة نظراً لغياب المشروع الحضاري الذي يحقق التوازن المفقود بين الثقافات فلا يمكن الحديث عن صدام أو حوار أو غير ذلك من أشكال التفاعل الحضاري في ظل عدم وقوف الذات الجماعية لكل ثقافة تهدف إلى الحوار والتعايش وقفة تدفعها إلى الحوار بشكل جذري وجوهري . وبالنسبة للمسلمين فإن الأمر يتطلب التركيز على التطبيقات المنحرفة للنظرية الإسلامية من خلال جعلها مادة للنقد مع إظهار الجوانب المشرقة في تلك التطبيقات كما يمكن أن تكون الأخطاء التي ارتكبها الخطاب العلماني حافزاً لنقدها وإظهار البديل الذي يقدمه المنظور الإسلامي (المثال) متوخين بذلك الحياد العلمي وتقبل الحقيقة والأهم الكشف عنها مهما كانت قاسية ليكون هناك حوار للعقل البارد والمتفتح الهادي حوار يبدأ بتحديد المواقف الواضحة تؤدي إلى عملية قطع تدريجي مع التكوين النظري والخطي الذي ساد حتى المرحلة المعاصرة ، وقد عبرت العديد من التيارات الفكرية عن رفضها لهذه النماذج وأبدت طموحها نحو نموذج مختلف لكن هذه الطموحات لم تتبلور بعد كنموذج متكامل يستطيع صياغة إشكاليات جديدة تصب في وعاء الأنموذج ذات العنوان الحواري التعايش وليس التوحيدي كما يضن أو يفهم البعض لأنه كما أكدنا من أن هذا النموذج ينطلق من الحساب الواعي لمشاعر كل ثقافة ونفسيتها وذاكرتها الجمعية وتكوينها العقائدي

والأخلاقي هذه الروية التوحيدية المطلقة جعلت من المنظور الإسلامي أنموذجاً غير مشروع لأنها لم تترجم إلى صيغ فكرية واضحة وكذلك إلى صيغ عملية محددة بمراحل تاريخية بمختلف أبعادها ، ولعل السؤال القديم الجديد لماذا نتصارع قد اخذ جزءاً كبيراً في بحثنا لكن السؤال الأكثر أهمية أصبح في بحثنا هو لماذا لا نتحاور مما يستوجب عدم الإيمان بنظرية العزل ورفض نظرية الهيمنة إذ إن النظرتين تعبران شكل من أشكال الخوف من الآخر فترى الأولى انه بقطع أي جسر للتواصل مع الآخرين يحقق الأمن _ والثانية تتخذ من الآخرين مسلكاً لحماية الذات على نحو يجعلنا نحن أمام نظريات تقفز وتتعالى على الواقع بينما تمثل الدعوى إلى الانفتاح والتبادل الايجابي انطلاقاً من عملية الاحتكاك والاستفادة المتبادلة هي وحدها الحقيقة التي يجب أن تطابق الواقع لماذا ؟ لأنه لا يمكن لأي ثقافة أن تعيش في معزل عن الثقافة الأخرى _ ويجب أن يكون واضحاً إن الرؤية التعايشية التي يعدها المنظور الإسلامي ويقدمها للبشر جمعا غايتها الكبرى الوصول إلى الوعي البشري الذي يؤسس على نوع من الوجود العالمي بعيداً عن استقطاب الآخر بالقوة وهذا أنموذج بطبيعة الحال لا يمكن أن يتحقق لمجرد الدعوى إليه أو العمل من أجل تحقيقه في زمن محددة أو فتره محدده وإنما هو مهمة يتطلب إنجازها خلال عقود من الزمن ولكن الأهم أن يبدأ العمل بها و تحويلها إلى مشروع حياتي عملي يتم إنجازه بمراحل متدرجة.

الخاتمة والنتائج :

وبهذا نكون قد قمنا بمحاولة تحليل ونقد نحسبه متواضعاً وبسيط لمفهوم (الأنا) و (الآخر) في الوعي والتجربة الإنسانية للمجتمعات حيث حاولنا استنطاق الجوانب المعرفية التي تمكننا من قراءتها وتحليلها بغرض إبراز هذه الإشكالية التي اهتم بها الإنسان والمجتمعات سواء من حيث الحياة العملية أم من حيث الأفكار والتصورات والعقائد التي اهتمت بهذه الظاهرة وقد حاولنا ترتيبها بالشكل الذي يسهل الإطلاع عليها وذلك وفق الأبعاد التي اقتضتها منهجية البحث الأمر الذي أدى إلى شمولية البحث. كما أننا قد حاولنا ملامسة ومحاكاة واستنطاق المرجعية الإسلامية التي تنظم علاقة (الأنا) (بالآخر) وهي الأصلين التشريعيين (القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة) والتي أطلق عليها بحثنا (المثال) حيث تبين لنا أن النظرة الإسلامية تقوم على اعتبار أن وجود الآخر هو سنة كونية ، لذلك يتوجه فيها الخطاب بصورة عامة إلى الناس ، ثم يردف ذلك بما يعبر عن مشيئة الخالق جلّ وعلا في الخلق ، راد الناس إلى (أصل واحد) جاعل تعارفهم هو الغاية من انقسامهم بين شعوب وقبائل. ثم لوحظ من خلال خطاب المنظور الإسلامي للأنا والآخر انه يرتفع ليتجاوز حدود اللون والعرق والثروة ليكون معيار التمييز أمام الخالق هو التقوى والعمل الصالح ، وتؤكد السنة المطهرة المعيار نفسه في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (كلكم لآدم وأدم من تراب)[٣٢] يأتي هذا الحديث ضمن الهدف العام للإسلام والمتمثل في

احترام الإنسان والاعتراف بحقوقه ومراعاة مشاعره ويذكر إن النبي صلى الله عليه وسلم مرت به جنازة فقام ، فقيل له انها جنازة يهودي ، فقال(أليست نفساً) (33) ويحدثنا التاريخ أن الروم نقضوا عهدهم في زمن معاوية (رضي الله عنه)وفي يده رهن فامتنع المسلمون جميعاً من قتلهم وخلوا سبيلهم وقالوا (وفاءً بغدر خير من غدر بغدر) (34) وفي هذا الحديث والواقعة نلاحظ السمو بالنفس وعدم ممارسة الاعتداء وان كان قد وقع الاعتداء على المسلمين من قبل الروم فالالتزام هنا هو تجسيد للحياة أما رد العدوان فله شروطه وضروفه واليته الخاصة به. إن السنة النبوية وهي تقدم أنموذجاً لعملية التعايش فهي تشترط الرحمة والعطف وترفض الكبر والغرور.يقول صلى الله عليه وسلم (إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لايفخر احدٍ على أحد ولا يبغي أحد على أحد) (35) ، ليصل بنا (المثال) الإسلامي إلى تأكيد الاختلاف واعتباره بالخلق ديمومة الاستمرار (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين) (٣٦)لكن ذلك لا يعني القبول السلبي للآخر والغير الشرعي فالمنظور الإسلامي يشترط أن يكون القبول مرهون بموقف الآخر منا. فإذا كان قبول الآخر يمارس القهر أو العدوان أو ينفي وجودنا كمسلمين فقبوله هنا يتفاوت ما بين المباح والمكروه والمحرم وصل بحثنا إلى خلاصة مفادها أن الحضارة العالمية مأزومة ونماذجها الفكرية والحياتية غير قادرة على استيعاب (الأنا) و (الآخر) بشكل كاف مما أكد ضرورة المنظور الإسلامي بحكم امتلاكه لأفق أوسع ونظرة أشمل ورؤية أبعد تنطلق من اشتماله لمرجعيات ونظم وآليات تنظم الواقع وتضبطه ، وان كان متعدد الثقافات وهذا الأمر يقودنا إلى الإحساس والاقتناع بأهمية المنظور الإسلامي وحاجة البشر إليه كونه أنموذجا ربانياً منهجه شكل ولادة جديدة للناس كافة بحيث يحمل في ذاته شروط التعايش والبقاء والتغيير ، لكن التغيير الواعي المتدرج الذي يؤدي بالنهاية إلى قبوله .

- كشف بحثنا أيضا أن المسلمين يعانون مشكلات كبرى سببها الانشقاقات العميقة بالداخل والانفصال الشعوري و ألقيمي عن العالم. الأمر الذي سبب غياب الرؤيا الواضحة للذات والأخر- مما يستوجب العودة إلى المرجعية الإسلامية (المثال) لدراسة الواقع وحل مشكلاته .

بين بحثنا أن ثقافة نفي الآخر هو خطاب يقوم على سجن الأفراد لمجرد أنهم يختلفون عنا ومعنا في الرأي وهذه الثقافة بالطبع تناقض حقائق التاريخ وحقائق المرجعيات الدينية والثقافية والتي تدعو للاعتراف بالآخر ضمن قواسم مشتركة حيث بين بحثنا لهذه الإشكالية أنه من غير المعقول للفرد أو الأفراد أو الحضارات والثقافات أن تنمو وهي في عزلة عن بعضها البعض وبالتالي فان بحثنا قد أيد تلك الأفكار التي تقول : (خطاب نهاية التاريخ)(فوكوياما)وصراع الحضارات (هنتنجتون) وأمثالها هي نماذج لإقصاء النماذج المختلفة ومن ثم هي نماذج تلتف على منجز التنوع البشري الطبيعي والثقافي على

اعتبار أن الاختلاف هو معطى إنساني ثابت ، أي أنه قائم موجود أصلا كما سبق إيضاحه في هذا السياق، حيث يفيدنا الطبري في هذا المجال في تفسيره للاختلاف في بيان طبيعته (فمنهم من ذهب إلى انه اختلاف في الأديان واستثنى الله منهم(أهل الكتاب) بالإيمان) [٣٧] ومنهم من ذهب إلى أن الاختلاف سبب خلقهم ليكن بعضهم أهل الجنة وبعضهم الآخر أهل النار)[٣٨] وذهب فريق ثالث متشدد إلى أن معنى قوله :(ولذلك خلقهم الله) أي خلقهم للرحمة) [٣٩] .

ونلاحظ أن الطبري رجح أحد هذه الأقوال فقال: (وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: وللاختلاف بالشقاء والسعادة خلقهم ، لان الله جل ذكره ذكر صنفين من خلقه أحدهما أهل اختلاف وباطل ، والآخر أهل حق ثم عقب ذلك بقوله : ولذلك خلقهم ،فعم بقوله: (و لذلك خلقهم) صفة الصنفين فأخبر عن كل فريق منهما أنه ميسر لما خلق له) [٤٠]

انطلاقا من ذلك يرى بحثنا أن إشكالية الأنا والآخر هي إشكالية حقيقية تعيشها الحضارة العالمية ، وبالتالي أصبح من العاجل أن يوليها الفكر الإسلامي والإنساني المعاصر ما تستحقه من جهد وعمق وجرأة حتى يصبح التعدد والاختلاف ضمن الواحد والأمة الواحدة جزء لا يتجزأ من الوعي العام بالمصير المشترك .

الهوامش:

١- محمد محمد سيد خليل ، وآخرون ، دراسات في التفاعل الاجتماعي جـ ٢ صورة الذات والآخر ، صـ ١٧ دار الحريري القاهرة ٢٠٠٤م

٢- المرجع نفسه ص١٤٧.

٣- سورة الذاريات (٢١).

٤- علا عبد الهادي ، الأمن الثقافي العربي ،أسئلة و تاملات نظرية ، مجلة شئون عربيه ع ١١٢ ،ص٤١ ،بيروت ١٩٩٩م.

٥- العهد القديم ص ٧ ،ص٤٣ ،ص ٢٤ .

٦- المرجع نفسه.

٧- جوزيف فوجت ، نظام العبودية القديم ، والنموذج المثالي للإنسان ترجمة منيرة كروان ، ص٧ المجلس الأعلى للثقافة مصر ، ١٩٩٩م

٨- هيجل، علم ظهور العقل ، ترجمه مصطفى صفوان ١٣٤ ط٢ دار الطليعة ١٩٩٤م.

٩- ياسين بوغريدي ، مشكله الأخر في الفلسفة المعاصرة ،ص ٩٤ مجلة كتابات معاصرة ع٣٧، ١٩٩٩.

١٠- هاني يحيى فخري ، دعوة للدخول في الفلسفة المعاصرة، ص١٠٩ ، المؤسسة الجامعية التوزيع و النشر القاهرة.

١١- مرجع سابق، جوزيف فوجت، ص٨.

١٢- موسوعة علم النفس ترجمة فؤاد شاهين، م١، ط١، ص١٤٢ عويدات للنشر و الطباعة بيروت١٩٩٧.

١٣- سورة الحجرات (١١) سورة آل عمران (٦٤) سورة سبأ (٢٤) حسن الترابي، اطروحات الحركات الإسلامية، في مجال الحوار مع الغرب و بقية العالم(بين صدام الحضارات وحوارها)ص١٢٨، مركز الدراسات الإستراتيجية بيروت، ط١، ٢٠٠٠

١٤- سورة المائدة (٢)سورة المائدة (٨)سورة المائدة (٤٨)سورة الحجرات (١٣)سورة يونس (٩٩) سورة الرعد (٧) سورة يوسف (١٠٨) سورة الزمر (١٨) سورة الممتحنة (٨) سورة النساء (٩) سورة النجم (٣٢) سورة الإسراء (٧٠) سورة المائدة (٥٨) سورة البقرة (٧٣) سورة الحجرات (١٣) رواه أحمد والترمذي.صحيح البخاري حديث رقم ٢،٤،٩، ١الماوردي،علي محمد بن حسين البصري،الاحكام السلطانية والعلاقات الدينية ،بيروت دار الكتب العلمية، ١٩٨٥ ص ٥٤ .

١٥- راجع صحيح مسلم ،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،ج٤ ،ص ١٩٩ القاهرة ١٩٥٥ .

١٦- سورة المائدة (٤٨)

١٧- محمد جرير الطبري جامع البيان في تأويل القران ، تحقيق أحمد محمد شاكر، ص٣٣٥، ١٥٢، د.ت ٣١٠هـ

١٨- المصدر نفسه، ص ١٥، ٣٣٥.المصدر نفسه ص١٥، ١٥٢، ٥٣٦. المصدر نفسه، ص١٥، ١٥٢، ٥٣٧.

المصادر والمراجع:

١- الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص٣٨٣، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

٢- بوغريدي، ياسين، مشكله الأخر في الفلسفة المعاصرة، ص٩٤، مجلة كتابات معاصرة، ع٣٧، ١٩٩٩.

٣- الترابي، حسن، اطروحات الحركات الإسلامية، في مجال الحوار مع الغرب و بقية العالم(بين صدام الحضارات وحوارها)ص١٢٨، مركز الدراسات الاستراتيجية بيروت، ط١، ٢٠٠٠.

٤- خليل، محمد محمد سيد، وآخرون، دراسات في التفاعل الاجتماعي، ج ٢، صورة الذات والأخر، ص١٧، دار الحريري، القاهرة ٢٠٠٤.

٥- الطبري، محمد جرير، جامع البيان في تأويل القران، تحقيق أحمد محمد شاكر، ص ١٥٢، ٣٣٥، د.ت ٣١٠هـ.

٥- فوجت، جوزيف، نظام العبودية القديم، والنموذج المثالي للإنسان ترجمة منيرة كروان، ص٧ المجلس الأعلى للثقافة مصر، ١٩٩٩.

٦- عبد الهادي، علا، الأمن الثقافي العربي، أسئلة و تأملات نظرية، مجلة شئون عربيه ع ١١٢، ص٤١، بيروت ١٩٩٩.

٧- العهد القديم ص ٧، ص٤٣، ص٢٤.

٨- فخري، هاني يحيى، دعوة للدخول في الفلسفة المعاصرة، ص١٠٩، المؤسسة الجامعية للتوزيع و النشر، القاهرة.

٩- موسوعة علم النفس ترجمة فؤاد شاهين، م١، ط١، ص١٤٢، عويدات للنشر و الطباعة، بيروت١٩٩٧.

١٠- هيجل، علم ظهور العقل، ترجمه مصطفى صفوان، ص١٣٤، ط٢، دار الطليعة، ١٩٩٤.